التحليل اللساني للنصوص والأسلوبية*

برنار كومبيت

ترجمة : مفتاح بن عروس

جامعة الجزائر 2 - الجزائر

الملخّص

يتعلق الأمر بعرض بعض الميادين تَمَكَّن فيها التحليل اللساني للنصوص من أن يغير بصفة واضحة زوايا مقاربته ويدقق المفاهيم المستعملة في الأعمال الأكثر قِدَما والتي كانت أحيانا اختزالية كثيرا. وهذه الإشكاليات الجديدة التي، كما يبدو، هي مشتركة بين الأسلوبية ونحو النص أصبحت مقتضاة حينما بدأ يتأكد أخذ البعد المعرفي بعين الاعتبار: فالتركيز على نشاطات إنتاج النصوص وتلقيها أدى بالضرورة إلى إدراج هذا العامل واعتباره أساسيا في حقل يختزل في مكونين: نظام اللغة والبنى النصية أو الخطابية.

الكلمات المفاتيح:

نحو النص- أسلوبية- مستوى معرفي- بنى نصية- علامات لسانية- انسجام.

---

*- أصل المقال:

Bernard COMBETTES: Analyse linguistique des textes et stylistique . LANGUE .FRANÇAISE. N°135. Sept 2002

Résumé

Il s'agit d'exposer quelques domaines dans lesquels l'analyse linguistique des textes, a nettement modifié ses angles d'approche, affiné les notions, parfois trop réductrices, utilisées dans les travaux plus anciens. Ces nouvelles problématiques qui devraient être communes à la stylistique et à la grammaire de texte, ont été suscitées par la prise en compte, de plus en plus affirmée de la dimension cognitive ; l'accent mis sur les activités de production et de réception des textes a nécessairement conduit à introduire ce paramètre dans un champ qui se réduisait à deux composantes : le système de la langue et les structures textuelles ou discursives, et à le considérer comme fondamental.

mots clés:
Grammaire textuelle- Stylistique- Niveau cognitive- Structures textuelles- Marques linguistiques- Cohérence.

Abstract

The recent progress of studies in cognitive field in linguistic text analysis can allow text grammar and stylistics to find common problematics. Some of the fields in which cognitive processing and discursive specificity may be taken in account conjointly are presented: drawing up connections between linguistic markers and textual structures, determining relevant textual units, defining a dynamic context, taking into account the discursive memory and the processing of informational structure. The emphasis is on interaction that occurs between various subsystems in coherence processing.

keywords:
Text grammar- Stylistics- Cognitive field- Textual structures- Linguistic markers Coherence.

مقدمة :

يؤدي تطور دراسات نحو النص، أو بصفة عامة، الأعمال التي تُقَدَّم كمقاربات لسانية للنصوص، إلى التساؤل عن العلاقات التي يمكن أن تقيمها هذه البحوث مع الأسلوبية. وهذه الأخيرة، وإن كان مجالها وتعريفها والمقاربات التي تقترحها مختلف المدارس يمكن أن تكون تصورات مختلفة جدا بل متعارضة أحيانا (ينظر كارابيتيان: 2000) فإنها مع ذلك تستند أساسا، مهما كانت الاختلافات، إلى تحليل ظواهر لسانية. ومن ثم فمن حقنا أن نبحث عن نقاط التقاء بين هذين المجالين. ومن المسموح به أن نفكر في أن الأسلوبية الموسومة بنوع من اللاتجانس في أهدافها وفي مناهجها (ينظر سان جيران: 1995) يمكن لها أن تستفيد من أخذ بعض مفاهيم وملاحظات لسانيات النص بعين الاعتبار. وصحيح أن هذه المفاهيم لم تُبَلْور في منظور دراسة الأسلوب، مهما كان التوسيع الذي نعطيه لهذه الكلمة، وأن هذين النوعين من الدراسات يتمايزان دائما، في نهاية الأمر، عن طريق المكانة المعطاة لمفهوم القيمة ومفهوم الخصوصية. ولتفادي الوقوع في "التطبيقية" (applicationnisme) الساذجة التي تتمثل في تحديد ما يمكن أن يُفيدَه كلا المجالين من بعضهما، فإننا نتمسك بعرض بعض الميادين تَمَكَّن فيها التحليل اللساني للنصوص من أن يغير بصفة واضحة زوايا مقاربته ويدقق المفاهيم المستعملة في الأعمال الأكثر قِدَما والتي كانت أحيانا اختزالية كثيرا. وهذه الإشكاليات الجديدة التي، كما يبدو لنا، هي مشتركة بين الأسلوبية ونحو النص أصبحت مقتضاة حينما بدأ يتأكد أخذ البعد المعرفي بعين الاعتبار: فالتركيز على نشاطات إنتاج النصوص وتلقيها أدى بالضرورة إلى إدراج هذا العامل واعتباره أساسيا في حقل يختزل في مكونين: نظام اللغة والبنى النصية أو الخطابية. لِنُشِر، مع ذلك، إلى أن مصطلح اللسانيات المعرفية المستعمل أكثر فأكثر، يغطي بطبيعة الحال جوانب متعددة من مقاربة اللغة والنصوص، وسنهتم هنا، بطبيعة الحال، بصفة أولوية بما يتعلق بتسيير الانسجام النصي إنْ في مستوى الإنتاج وإنْ في مستوى التلقي. ولا نذكر هنا

عمليات "التركيب" في مستوى الجملة، رغم أنه من حقنا أن نتساءل حول شرعية الثنائيات التي تقابل بين مجال اللغة ومجال النص (ينظر شارول وكومبيت (1999 – 2001). يتعلق الأمر هنا بمسائل تمس خاصة تقديم وتحديد المحيلات عليها (référents)، وعمل المستوى الإعلامي والدور الأساسي للذاكرة الخطابية وهي التي تؤخذ كأمثلة. ونستطيع إذن، أن نفكر أنه يمكن أساسا للسانيات النص والأسلوبية أن توجد في مقاربات مشتركة من خلال الكيفيات الجديدة التي تُتناول بها مختلف هذه الإشكاليات. ويسمح أخذ عمليات التلقي كما الإرسال بعين الاعتبار، أو بصفة أدق، أخذ "المعرفة المشتركة" الضرورية لتحقيق الانسجام بعين الاعتبار يسمح حينئذ بنقل مفاهيم مثل الانزياح أو الأثر (effet) : فالانزياح لا يكون أبدا بالنظر إلى معيار لا يحيل إلا إلى نظام اللغة ولكن بالنظر إلى "التعليمات" المعطاة بواسطة هذه العلامات (marques) لتوجيه النشاطات المعرفية المستعملة.

1. مسألة العلاقة لغة/نص

إن ربط وقائع اللغة والظواهر اللسانية بالبعد النصي وأخذ هذا البعد النصي بعين الاعتبار مع عمليات معرفية، يهم نحو النص ولكن يهم أيضا، وبعبارات إلى حد ما مختلفة، الأسلوبية. ويطرح لكلا الاختصاصيْن السؤال الأساسي الآتي: كيف يتم بالضبط "تركيب" (codage) البنى النصية؟ ما دور النظام اللغوي الخاص بكل لغة في هذه العملية؟ في الأعمال الأولى حول نحو النص، أنست رغبةُ وصف الانسجام النصي في كليته خصوصيةَ الأنظمة اللغوية المستعملة وأدت الدراسات التفصيلية المتعلقة بميادين خاصة حول بعض مجموعات العلامات (marques)، بصفة طبيعية، إلى التساؤل عن المكانة التي يجب أن تُعطى، في وصف وتفسير وقائع الانسجام، إلى القيود المرتبطة بأبنية اللغات. يمكن تمييز حركتين متقابلتين في الكيفية التي تعالج بها هذه الإشكالية. وبالتموقع في جهة الخطاب والنص، فإن عددا من الأعمال التي لم يكن هدفها تحليل النظام اللغوي من حيث هو، ولكن دراسة انتظامات ذات طابع نصي، "أَتْبَعت"، إلى حد ما بُنى اللغة لعوامل خطابية. ويعتبر التحليل

الكلاسيكي الذي يقترحه هوبر وتومسون (1980) للتعدي (transitivité) تمثيلا جيداً لهذا المنحى: إنه، في نهاية التحليل، تركيب (codage) مقابلة المستوى الأول والمستوى الثاني هو الذي ينجر عنه مجموع خصائص النموذج المتعدي (pro-totype transitif) التي هي علامة المستوى الأول. وهذا المنظور الوظيفي الذي يعتبر النصية في المحل الأول وشرطا للمستوى اللغوي، يوجد، بدرجات مختلفة، لدى عدد من الباحثين (ينظر مثلا: ديبوا 1987، باين 1987، 1994، فلايشمن 1991، ميهل 1992، ديري 1994). وهدف هذه الدراسات ليس دراسة الانتظامات في اللغة ولكن استغلال قواعد عمل نصي، ومن ثم نلاحظ أن المفاهيم النصية غالبا ما تعتبر ككليات (universaux)، مبررة بالطابع الذي يفترض أنه كلي للمقولات المعرفية المناسبة، وبتوفير اللغات وسائل مختلفة مؤهلة للتعبير عن هذه المفاهيم. إن وضع مراتب بقصد تقديم تنوع التركيب (codage) عبر اللغات (ينظر مثلا أريال 1990) لا يغير بصفة أساسية جوهر هذه المقاربة، ولا توجيه هذا النوع من المراتب، بالنظر إلى اعتبارها كلية. وفي هذا المنظور نفهم أيضا أن غلبة ما هو خطابي على ما هو لساني غالبا ما يُربط بمفهوم الأيقونية(l'iconicité). وتسمح مبادئ معرفية "مستعرضة" (transversaux) لا تنحصر في ميدان ما من اللغة، بوضع وحدة بين نظام العلامات والمستوى النصي (ينظر درسلر 1996). وتحتفظ العملية العكسية بنوع من الاستقلالية عن النظام اللغوي الذي يوفر إمكانيات وخطاطات (des schémas) جاهزة "لاستغلال" نصي. ونجد هنا موقفا مؤكدا كثيرا يتمثل في استخراج قيم في اللغة ترتبط فيما بعد بالمستوى الخطابي (ينظر مثلا ينفينيست 1970). وتفسر القيود النصية أحيانا كعوامل بإمكانها تفسير وتبرير تطور هذه البنية أو تلك من البنى التركيبية، وهذه الخاصية أو تلك من خصائص الأشكال اللغوية الموجودة. ويكون تعدد وجهات النظر هنا بدرجة يصعب معها إذن وضعها كلها تحت مقولة من هاتين المقولتين الكبيرتين؛ فبعض الكتاب يرفض طرح المسألة من زاوية علاقات ممكنة بين اللغة والنص. وبالنسبة لبرانس (1988) مثلا، فإن

الملكة الخطابية هي خاصة بكل لغة و "التركيب النصي" (codage textuel) هو اعتباطي بصفة كلية، أما بالنسبة لدي لانساي (1981) فمن غير الممكن أن نحدد خصائص، أو نحدد ما يكون أولا من وقائع اللغة ومن وقائع الخطاب، والمجالان خاضعان، بالتوازي، لمبادئ معرفية عامة. ولا يتعلق الأمر هنا بأن نأخذ موقعا في هذا النقاش ولكن بأن نشير إلى أن التحاليل المقترحة، أيا كان الموقف المتبنى، تؤدي تقريبا دائما إلى إهمال خصوصية المقولات الخطابية. والعلاقة لغة/نص، بحكم نقلها، ضمنيا أو صراحة، نحو دراسة العلاقة لغة/معرفة، مع اعتبار العمليات المعرفية، من ثَمَّ، كليات، فإن الدرجة نفسها من الكلية والعمومية تعطى للبنى النصية. ونكون هكذا أمام ما يمكن أن نعتبره وضع بين قوسين للمستوى النصي، ويصبح النص مجرد مكان يُضمن فيه، بمساعدة علامات لغوية، تسيير الانسجام. ودراسة الخطابات المنتجة في لغات جد مختلفة عن اللغات الهندوأوروبية أدى بالمقابل إلى اعتبار أن المفاهيم المستعملة في التحليل ليس لها بالضبط نفس الخصائص حسب الوضعيات، والأجناس والحِقب مثلا. وهكذا فإن باحثا مثل ديبوا (1987)، يرى، مع اعترافه بكلية بعض القيود العامة، أن التنظيم الخطابي خاص، ليس فقط بكل نظام لغوي ولكن أيضا بأنماط الخطاب؛ وما يجب أن يوضع في علاقة هو الاستراتيجيات الخاصة بجنس مع حالة لغة خاصة. والأمر نفسه بالنسبة لـ هوبر (1998) الذي يقترح أمام القليل من الحصافة فيما يتعلق بالتمييز الكلاسيكي بين المستوى الأول والمستوى الثاني في تحليل النصوص البولينيزية، أن يُعترف "بأسلوب معرفي" خاص ليس فقط بكل لغة، ولكن أيضا وبصفة خاصة بكل نمط من النصوص. وتبدو لنا كيفية النظر هذه واعدة جدا للتحليل النصي ونريد أن نبين، من خلال فحص بعض المفاهيم، أن قَصْرَ التنويع على قيود نظام اللغة فقط يمكن أن يكون محل نقاش وأنه يجب، بدون شك، الذهاب بعيدا والتساؤل حول المماثلة الضرورية للمقولات نفسها والمراتب. ولا ينقص الأسلوبية طرح قضايا من نفس النوع، خاصة حينما تجد نفسها في مواجهة مسألة الزمنية (diachronie) والضرورة التي صاغها

ج.مولينـي حينـما قـال: "إن الميـدان المهمـل مـن بـين البحـوث مـن هـذا النـوع، هـو ميـدان الأسـلوبية التاريخيـة. وهـذا الإهـمال يـؤدي إلى بـذل جهـود ضائعـة حولهـا، مـن مثـل، مسـألة اسـتعمال اسـم إشـارة مـا في إحـدى تراجيديـات راسـين، بينـما تسـمح لنـا مقاربـة أكـثر اتسـاعا بـأن نكتشـف أنـه مجـرد اسـتعمال مشـترك لـكل حالـة لغـة". وتشـير (موليـي، 1999، ص11) إلى نفـس النـوع مـن الصعوبـة: هـل يتعلـق الأمـر بمجـرد فـرق في "حالـة لغـة"؟ كيـف نبسـط مفهـوم "الاسـتعمال المشـترك" ونجعلـه عمليـا خاصـة في مقاربـة أسـلوبية، وهـو يوشـك أن لا يتميـز عـن جـرد لوحـدات وعـن ملاحظـة تواتـر اسـتعمال بعـض العبـارات؟ يبـدو لنـا أن اللسـانيات النصيـة تسـتطيع أن تقـدم، هنـا أيضـا، بعـض التوضيحـات الضروريـة.

2. الوحدات الحصيفة ومستويات المعالجة

إن الأهميـة المعطـاة لنشـاطي الإنتـاج والتلقـي تـؤدي بصفـة شـبه حتميـة إلى إعـادة النظـر في الوحـدات التـي تـم تشـكيلها اسـتنادا إلى مقاييـس لا تناسـب هـذا النـوع مـن المقاربـة. وإذا كانـت الأعـمال الأولى لنحـو النـص، وهـي تحمـل هاجـس الفصـل التـام بـين مجـال الجملـة ومجـال النـص، لم تطـرح هـذا النقـاش، مـما كان يمكـن أن يكـون إعـادة نظـر في وحـدات التحليـل نفسـها، فـإن النقـاش سرعـان مـا فتـح حـول الحصافـة وضبابيـة بعـض الحـدود. لا يعيـد هنـا الـكلام عـن التقـدم الأسـاسي والاقتراحـات النظريـة والمنهجيـة التـي تؤخـذ اليـوم بعـين الاعتبـار (ينظـر خاصـة باراندونـر، 1990. باراندونـر وبيغلـن 1989، شـارول وكومبيـت 2001)، ولكننـا نركـز بصفـة خاصـة، بغـض النظـر عـن قضيـة تطـور الأفـكار اللسـانية، (ينظـر سـيغان 1993) عـلى أهميـة هـذه الفـروق بالنسـبة للتحاليـل التـي يمكـن أن نبلورهـا حـول انسـجام النـص، سـواء أتعلـق الأمـر بنحو النـص أم بمقاربـة أسـلوبية. وتبـدو لنـا الأهميـة في الحصـول عـلى نقطـة اتفـاق وعـلى مبـدأ موحِّـد يسـمح بتفسـير وجـود بعـض الانزياحـات، والفـرق بـين بعـض الممارسـات اللغويـة، مـما يـؤدي، مـن ثَـمَّ، وبـلا شـك، إلى جمـع وقائـع تبـدو غـير متجانسـة والتـي تكـون غالبـا موضـوع ملاحظـات متفرقـة. إن قضيـة حصافـة الوحـدات هـذه

التـي يُسَـوَّى فيهـا عمـل الوسـم اللغـوي، وهـي قضيـة تبـدو شـيئا فشـيئا مركزيـة في الدراسـات النصيـة، تهـم بطبيعـة الحـال الأسـلوبية مـن حيـث إن الأمـر يتعلق باسـتخراج خصوصيـات وتحديدهـا: والإطـار الـذي يتـم مـن خلالـه التركيـب (codage) ويتـم خلالـه أيضـا تحقيـق مـدى (portée) هـذه العبـارة أو تلـك، يجـب أن يحـدد بصفـة دقيقـة مـا أمكـن، ولا تكـون الظاهـرة الأسـلوبية، عـلى الأقـل، في اختيـار هـذا الشـكل أو ذاك ولكـن في اختيـار مسـتوى المعالجـة للعبـارة المعنيـة. يجـب، إذن، أن نشـير إلى أهميـة هـذه المسـألة حينـما يتعلـق الأمـر بـأن نأخـذ بعـين الاعتبـار الجوانـب الزمانيـة (aspects diachroniques) والتغيـير في حالـة إضفـاء النحويـة (la grammaticalisation)، مثـلا، الكامنـة أولا في تغيـير مسـتوى المعالجـة قبـل أن يـدرج في نظـام اللغـة نفسـه. سـنلخص لتمثيـل هـذه الإشـكالية حالتـين خاصتـين، يصعـب فصـل معالجتهـما عـن التفكـير في نـوع الوحـدة التـي تشـكل إطـارا لعملهـما.

1.2. المكونات الجانبية

مـن الواضـح أننـا نسـتطيع في جانـب "المكونـات الجانبيـة" غـير المندرجـة تركيبيـا في البنيـة الجمليـة، أن نبحـث عـن تمثيـل للشـدة التـي تتـم بـين مختلـف الوحـدات. والمجموعـات التـي نسـميها أحيانـا "البنـاءات المنفصلـة" (constructions détachées) (البدل/عطـف البيـان، البنـاءات المطلقـة) (apposition, adjectivales on partici-piales, construct. Absolues) غالبـا مـا تعالـج "كزيـادات" أو "كانفصالات" (détache-ments) في بنيـة الجملـة: بإعطـاء قيمـة لربـط هـذا النـوع مـن المكونـات بالمركـب الـذي يكـون في رتبـة الفاعـل مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى بإعطـاء قيمـة لعلاقـة المعنـى التـي تتـم بـين (الإسـناد الثانـوي) و (الإسـناد الرئيـسي)، وتسـعى مقاربـة إلى حـد مـا معياريـة إلى تبريـر عمـل هـذه المجموعـات في مسـتوى الجملـة، بالكيفيـة نفسـها التـي يمكـن أن تتـم مـع جمـل ظرفيـة مثـلا. ويُظهـر فحـص الاسـتعمالات الحقيقيـة، وخاصـة تطـور هـذه الاسـتعمالات، حينئـذ، أن البنـاء المنفصـل، الموضـوع في أول القـول، يقـوم عـادة بـدور نـصي خـاص، يتمثـل في الاحتفـاظ بمحيـل عليـه بـارز (un référent saillant)،

وهـو محيـل عليـه، لا يوجـد بالـضرورة، بـارزا في باقـي الجملـة أو إذا كان بـارزا لا يأخـذ بانتظـام صـورة المركـب الفاعـل (syntagme sujet). وتحليـل الأدوار التـي يكـون فيهـا ربـط البنـاء المنفصـل بالفاعـل (sujet) غـير متحقـق عـلى أنـه انفصـال يعـود بصـورة مـا، إلى نقـل مسـتوى المعالجـة الفعـلي للعبـارة وحـصر مـا يعمـل في مسـتوى المقطـع النـصي في مسـتوى الجملـة. وهـذا التسـيير الخطـابي للبنـاءات المنفصلـة المعـترف بهـا والمحللـة في عـدد مـن الأعـمال (نوفـو 1988، بيغـلان 1995، كومبيـت 1998) تظهـر بوضـوح في مقطـع مثـل:

السـيدة شـاتوبريان أحسـن منـي [...] لقـد تحملـت محنـى؛ لقـد أُغرقـت في غياهـب الرعـب [...] محرومـة مـن الأولاد، الذيـن كان مـن الممكـن أن يكونـوا لهـا مـن زواج آخـر، وكان يمكـن أن تحبهـم بجنـون، وليـس لهـا شرف ولطـف الأم اللذيـن يعوضـان المـرأة عـن أجمـل سـنينها، تقدمـت، عقيـم ووحيـدة نحـو الشـيخوخة. غالبـا مفصولـة عنـي، معاديـة للرسـائل، وكبريـاء حمـل اسـمي لم يكـن لهـا تعويضـا. خجولـة ومرتجفـة لي وحـدي، فـإن قلقهـا المتجـدد يذهـب عنهـا النـوم. (شـاتوبريان، مذكـرات 289 . I)*.

إن تقسـيم النـص إلى جمـل لا يجـب أن يغطـي مسـألة أن مختلـف البنـاءات المنفصلـة (محرومـة مـن الأطفـال (privée d'enfants)، ليـس لهـا هـذا الـشرف (n'ayant point ces honneurs)، غالبـا مفصولـة عنـي (souvent séparée de moi)، (خجولـة ومرتجفـة) (timide et tremblante) لهـا عمـل منظـم عـلى مسـتوى الوحـدة النصيـة: وعطفـا البيـان الأوليـان (appositions) فقـط يوجـدان في علاقـة مـع المركـب الفاعـل "هـي" (تقدمـت)، بينـما البنـاءات الأخـرى المنفصلـة، هـي بصـورة مـا مسـتمرة بواسـطة ضمـير مفعـول (هـو) وبواسـطة محـدد ملكيـة (déterminant possessif) (قلقهـا) (ses inquiétudes). والاسـتمرارية الموضوعاتيـة والاحتفاظ بموضـوع (topique) الخطاب المعلـن عنـه بوضـوح منـذ بدايـة المقطـع هـما هنـا العامـلان الغالبـان اللـذان يتغلبـان عـلى القيـود الجمليـة الأكـثر محليـة. والمعالجـة، مـن وجهـة نظـر أسـلوبية، لهـذا النـوع مـن الظواهـر باعتبارهـا حالـة مـن الالتفـات (anacoluthe) وتفسـيره عـلى أنـه مصـدر

أثـر "قطيعـة" أو "مفاجـأة" يعـود إلى الاسـتدلال في الإطـار الضيـق للعلاقـات التركيبيـة وعـدم الأخـذ في الحسـبان مسـتوى المعالجـة الحصيـف. وقبـل أن يتـم تحديـد مـا إذا كان هنـاك انزيـاح، مهـما كان، مـع ذلـك، المَعْلَـم، يستحسـن أن يضبـط بدقـة المجـال المعنـي: والمسـألة ليسـت، في هـذا المثـال بعينـة، مسـألة نظـام اللغـة بقـدر مـا هـي مسـألة أجـزاء مـن النصـوص يتـم فيهـا تسـيير عمـل هـذا النظـام.

2.2. الإحالة البعدية (la cataphore)

سـيكون مـن الممكـن أن نمثـل لهذه الإشـكالية المتعلقـة بـ "وحـدات المعالجة" بواسـطة حالـة ظواهـر عائديـة وبصفـة أدق، بواسـطة ظواهـر الإحالـة البعديـة. وقـد شـكلت بنـى الجملـة المركبـة مـن نـوع أنَّ + ج1ج2 (que + p1p2) مجـال دراسـات عديـدة، خاصـة في أعـمال النحـو التوليـدي؛ ويبـدو أن مفهومـي الغلبـة والربـط (dominance et liage) بإمكانهـما أن يعالجـا المقابلـة المعروفـة جيـدا التـي تنتـج تغيـيرا في نظـام الاشـتراك الإحـالي (coréférence):

حينـما يكـون لديـه الوقـت، بـول يذهـب إلى السـينما. # يذهـب إلى السـينما حينـما يكـون لـدى بـول الوقـت (lorsqu'il a le temps, Paul va au cinéma # il va au ci-néma lorsque Paul a le temps) (ينظـر راينهـارت، 1984).

ووجهـة النظـر التي تحبـذ دور التراتبـات التركيبيـة (hiérarchisations syntaxiques) "للوظيفـة" وموقـع الجملـة التابعـة، وهـي وجهـة نظـر تتأسـس عـلى ملاحظـة حالـة لغـة معـاصرة، يمكـن أن يقابلهـا تحليـل يركـز، عـلى العكـس، عـلى الـدور الهـام للقيـود النصيـة وعـلى ضرورة الأخـذ بعـين الاعتبـار التدفـق الخطـابي. ويسـمح فحـص حـالات لغـة أكـثر قدمـا، بـأن نلاحـظ، مـرة أخـرى، أن الإطـار الجمـلي يجـب أن يُخضَـع لإعـادة تقييـم مسـتمرة. والمشـكلة هنـا هـي مشـكلة "الجملـة المركبـة" وحصافتهـا كمجـال يمكـن داخلـه أن يحـدد عمـل بعـض العوامـل اللغويـة، وبعـض العمليـات، عـلى رأسـها الإحالـة البعديـة، وكـذا بعـض وقائـع الأسـلوب. ويبـدو أن فرضيـة عمـل خطـابي يمكـن التحقـق منهـا في نصـوص الفرنسـية القديمـة والوسـيطة. وبطبيعـة الحـال ففـي مقطـع مثـل:

بعد ذلك ذهبوا إلى القداس وسلم غوفان السيف للرجل الشاب وألبسه ركابه الأيمن حسب العادة. ولكن قبل ذلك سأله عن اسمه فقال له إنه يسمى هيلان. وبمجرد أن منح مرتبة الفروسية مثلما يقتضيه الإجراء الحسن واستمعوا إلى القداس طلب القس غوفان أسلحته.*

يمكن أن نرى ظاهرة الإحالة البعدية في الجملة الأخيرة، في بنية تركيبية تناسب النموذج الكلاسيكي:

حينما هو ... Messires Gauvains ... (...) quand il والواقع أن المحيل عليه، ذُكر بصفة كاملة في بداية المقطع السردي (et Gouvaint ceint) وتوجد هنا بصفة أكيدة استمرارية موضوعاتية، باعتبار أن هذا المحيل عليه يملك درجة كبيرة من البروز تسمح بالاحتفاظ به كمرشح أكثر قبولا للاشتراك الإحالي العائدي. وهكذا ففي مثال من نوع:

هكتور مات من الجوع ومن ثم أكل طواعية. وأثناء الأكل أخذ قَيِّم الاصطبلات الترس ...)**

الذي، بغض النظر عن العوامل الدلالية (تكرار الفعل أكل، مثلا)، يمكن أن ينظر إليه كمثال ملتبس في قراءة "حديثة"؛ فبناء الجملة المركبة، لم يكن قد وصل بعد، في اللغة القديمة، إلى درجة النحوية التي تؤدي إلى إمكانية تفسير بواسطة الإحالة البعدية. وما يجب تفسيره، في المقابل، في هذا النوع من التمثيلات الخطابية هو إعادة تسمية المحيل عليه في الجملة الثانية، حيث كان يكفي استعمال ضمير أو اللجوء إلى حذف الفاعل:

حينما أعطى الأمر... (هو) طلب سلاحه.

Quant il eut donné l'ordre… (il) demande ses armes.

وظاهرة إعادة التسمية هذه، المرتبطة كثيرا بالمشاكل التي تطرحها الإحالات القبلية (anaphores)، هي بطبيعة الحال، متواترة في النصوص الحديثة. ولكن، هنا أيضا، يمكن أن نلاحظ أن وحدة المعالجة الحصيفة ليست مطابقة للوحدة التي

تظهر من ملاحظة نصوص أكثر قدما. وأمثلة من فرنسية العصر الوسيط مثل:

- وحينما علمت السيدة بهذا الخبر المرغوب فيه كثيرا الذي جاءت به إيزابيل، شكرت السيدة، وهي راضية عن هذا، سيدنا.

- وبينما كان سانترى يقاتل ضد سيدي نيكول، حلت على سانترى اللعنة، ووقعت فأسه على الأرض*.

تبين جيدا أن إعادة التسمية لمحيل عليه، يشكل مع ذلك، موضوعا ثابتا للمقطع يمكن أن يقع في تتابع جمل حين يكون البناء التركيبي لا يتطابق تماما، رغم المظاهر، مع بناء الجملة المركبة الحديثة من حيث إن العوامل المرتبطة بتراتيبة مختلف المكونات ليس لها تأثير موحد على تسيير تكرار مواضيع الخطاب ("des reprises" des objets de discours"). وظاهرة التوقع هذه التي تصنعها الإحالة البعدية لم تتبلور ـ في إطار الجملة المركبة ـ سوى بصفة متأخرة. وما يمكن أن نسميه استقلالية الجملة وتحررها من بعض القيود النصية تتحقق كاملة حينما يكون محيل عليه "جديد" لم يذكر في السياق المباشر، موضوع هذا التسلسل:

وصلت الشاحنة إلى مستوى نافذته (هو= ديديي). كانوا صاعدين فوقها بدعوى ضم ألواحهم، دخلوا غرفته ورأوه يفكر. كانت حالة تعدي على محل. حينما عَلِمتْ السيدة شوتار بذلك، ضحكت بملء فيها. (ف.غادان. الأحياء العالية، 1973).**

ما يهم، عند ملاحظة القيود التي تنظم استعمال هذا النوع من العلامات والعمليات، سواء تعلق الأمر بوصف استعمال إلى حد ما عام أو بتحديد آثار محتملة، ليس فقط وجود البناء أو العبارة اللغوية ولكن أيضا وخاصة طبيعة مجال تطبيقها. ونجد هنا إشكالية تلقي النص: لا يبدو لنا كافيا أن نعتبر أن الانزياح أو الأثر، يتحدد بالنظر إلى استعمال يكون "عاديا" منتظما، ومعتادا. إن الانزياح، إن وجد، يجب أن يحلل ويُفَسَّر في سياقه الذي هو، في جانب كبير، سياق ما هو معرفي لنشاطي الإنتاج والتلقي. ومثلما سنرى لاحقا فيما يتعلق بتسيير المستوى الإعلامي، فإن نظام اللغة له، بدون شك، في هذا المستوى، أهمية

أقـل مقارنـة بوقائـع التمثيـل (des faits de représentation) والتذكـر الـذي توجـه النشـاطات. وفي مثـل هـذا المنظـور، فـإن أخـذ مسـتويات المعالجـة بعـين الاعتبـار يصبـح مرحلـة أساسـية مـن التحليـل.

3. طبيعة السياق ودوره

تـؤدي المقاربـات المعرفيـة بصفـة إجباريـة تقريبـا إلى تغيـير عميـق للمفاهيـم الكلاسـيكية عـن طبيعـة السـياق اللغـوي ودوره. ويبـين ج.كليـبر وهـو يعالـج أساسـا وظيفـة السـياق في المجـال الـدلالي -ونفـس الوصـف يبـدو لنـا ممكنـا فيـما يتعلـق بالنصيـة- يبـين بوضـوح كيـف ننتقـل مـن مفهـوم ثابـت للسـياق إلى مفهـوم أكـثر ديناميكيـة، ويصبـح مـن ثَـمَّ طرفـا في كل اسـتراتيجية تفسـيرية. وأصبـح السـياق بـدل أن يكـون مجـرد "عجلـة احتيـاط" ضروريـة لرفـع الالتبـاس، ومحصـور في هـذه الوظيفـة في علـم الدلالـة الكلاسـيكي، أصبـح مسـتغلا في كل تفسـير، بالنظـر إلى أن الذاكـرة تلعـب دورا أساسـيا؛ ولم يعـد السـياق يعتـبر جـزءا مـن النـص يسـهم بحسـب الحاجـة خـلال نشـاط التلقـي، ولكـن مـا يُشَـكِّل مكونـا أساسـيا للتفسـير:

" إن معنـى جملـة يمكـن إذن، أن ننظـر إليـه عـلى أنـهُ مغـيِّر للسـياق: فهـو يعطـي تعليـمات لتغيـير سـياق أو نمـوذج سـياقي بآخر"(كليـبر 1994،ص18، ينظـر أيضـا دي مولـر 1990).

إن هـذا الموقـف، الـذي يـؤدي إلى رفـض مفهـوم المعنـى الحـرفي وكـذا مفهـوم تركيبيـة المعنـى (compositionnalité du sens) يسـير بنفـس المسـتوى مـع المقاربـة التـي تـرى في مختلـف العلامـات المعنيـة قيمـة تعليماتيـة (valeur instructionnelle). ومـن حيـث إن التفاعـل يكـون ثابتـا بـين تفسـير قـول والمعلومـات التـي تـم تخزينهـا في الذاكـرة، نفهـم أن السـياق لا يمكـن أبـدا أن يعتـبر ثابتـا يتدخـل في كل مرحلـة مـن مراحـل التلقـي. وتفسـير عنـصر مـن الخطـاب نفسـه هـو الـذي يشـكل، عـن طريـق العـودة، جـزءَ السـياق المَعْنـي. ولا يبـدو السـياق إذن مُحَـدَّدا مسـبقا، ولكـن يتبلـور في نشـاط الفهـم. وأخـذ ديناميكيـة النـص بعـين الاعتبـار، وتاريخهـا لا يمكـن أن ينفصـل عـن

مثل هذا المفهوم للسياق الذي لا يعتبر جزء من النص "خارجا" عن العنصر الذي هو محل تفسير، ولكن يصبح هكذا واقعا معرفيا، مرتبطا بالذاكرة بصفة أدق. ويوجد هنا مجال المعرفة المشتركة، ويفرض بعض الكتاب على القارئ استنتاجات، يتفاداها آخرون بواسطة توضيحات أكثر. وهناك مثال جيد لهذا "التعاون" الموسوم إلى حد ما تقدمه معالجة الخطاب المحكي (discours rapporté) حينما يتعلق الأمر بالخطاب غير المباشر الحر (خ غ ح)، نلاحظ بسهولة أن معظم التحاليل - وقد اهتمت الأسلوبية غالبا، بالقضايا التي يطرحها التلفظ المحكي (énonciation rapportée) بواسطة "كلام الشخصيات" - تهتم أساسا بصورة المقاطع نفسها التي تنتمي إلى هذه الفئة: فنظام الإشاريات، واستعمال الصيغ الفعلية ومستويات اللغة وعلامات الخطاب غير المباشر الحر (خ غ ح) هي نسبيا متنوعة. ويبدو ممكنا، بواسطة تعدد التآلفات والتنويعات التي تسمح بها أن نميز عن طريق دراستها أسلوب هذا الكاتب أو ذاك وهذه الفترة أو تلك. ومن النادر أن نتمسك بالعلامات التي تشير في السياق المباشر إلى حد ما، وتحدد هذا النوع من التلفظ المحكي، بينما هناك عدد من الدراسات تتناول الأفعال "المدرجة" (verbes introducteurs) حينما يتعلق الأمر بالخطاب المباشر والخطاب غير المباشر. والحقيقة أن الخطاب غير المباشر الحر (خ غ ح) من حيث التعريف، كما نقول، لا يبدو محتويا على علامات شكلية (باستثناء علامات من مثل، قال) تشير إلى أنه خطاب غير مباشر حر. ويبقى أن (خ غ ح) لا يمكن أن يوجد في أي تمظهر نصي ومن الأمور العادية أن يُعلن عنه و"يُحَضَّر". يحتوي السياق بطبيعة الحال على معلومات تسمح للقارئ أن ينتظر تلفظا محكيا، سواء تعلق الأمر بالحوارات أو "بخطاب داخلي" أو بأوضاع تلفظية أخرى: وجود أفعال دالة على "التفكير" والإدراك أو سياق يقترح محادثة أو الاستفهامات أو تعجب شخصية... ومن الصعب القيام بجرد كامل لهذه الإشارات، بالنظر إلى تعقد العوامل ولا تجانسها. وفي هذا المنظور لدور السياق يبدو من الممكن أن نميز عدة ممارسات، يكون من المهم أن نرتبها ونحللها وننظمها كظواهر

تحسينية (phénomènes scalaires). والمقطعان اللذان سنذكرهما يوجدان هكذا، في حدي سلم "تعاونية" (coopérativité). فزولا مثلا، يدرج عادة مقطع (خ غ ح) في سياق مُدْرج واضح نسبيا، متبعا في ذلك الممارسة العادية لعدد من الكتاب. يحتوي سياق اليسار بطبيعة الحال على معلومات واضحة تماما تقود القارئ إلى بناء وضعية يكون توقع (خ غ ح) فيها طبيعيا. وفي الحالات الأكثر صرامة فإن الخطاب المحكي مباشرا كان أم غير مباشر يسبق (خ غ ح) وتضع علامات وقف مثل النقطة-فاصلة الجزء المتعلق بـ (خ غ ح) في استمرارية الأشكال الأخرى من الخطاب المحكي. وهكذا ففي المقطع:

وهكذا كن يحكين عن الخالة ليزا. قال كلود (بـ) أن أمها لا ترى الجزار منذ مدة. كان يوحي بأن هذه (أمه) تستحي من أختها التي تزوجت بعامل، فهي لم تكن تنجب الأشخاص الأتقياء. أما بالنسبة إليه فإنه حكى (بـ) أن رجلا فاضلا تخيل أن يرسله إلى الكوليج لأنه لفت انتباهه بصور الحمير والنساء الجميلات التي كان يرسمها منذ سن الثامنة. لقد توفي ذلك الرجل الفاضل وترك له ألف فرنك كَدَخْل مما جنبه الموت جوعا (زولا، بطن باريس، ص 101-100)*.

وجمل (خ غ ح) لم تكن تحب الأشخاص الأشقياء، لقد توفي ذلك الرجل الفاضل (d'ailleurs elle n'aimait pas les gens malheureux, le brave homme était mort) مُعْلنة بواسطة مقاطع خطاب غير مباشر (قال كلود (بـ)أن..، كان يوحي بأن، حكى أن) (Claude dit que, il donna a entendre que, il raconta que) وعلامات الوقف بواسطة النقطة-فاصلة يشير أيضا إلى هذا الإدراج في سياق يساهم تماما في تمييز الفقرة كمقطع متجانس، مخصصة للخطاب المحكي.

ويتشكل تنويع بواسطة حالات الخطاب المسرود الذي يحيل على مقام توا صل ويؤسس حينئذ إطار خطاب متلائم مع ظهور (خ غ ح). ويمكننا بصفة تناظرية أن نقول أن "إغلاق" الخطاب المحكي يشار إليه في سياق اليمين بواسطة العودة إلى المشهد الابتدائي.

يتحدثـون الآن، وهـم يـدورون في السـوق. كان كلـود، يضـع يديـه في جيبـه وهـو يصفـر ويحـكي عـن حبـه الكبـير لهـذه الوفـرة مـن الأكل التـي تصعـد إلى وسـط باريـس كل صبـاح. كان يـدور حـول الزجـاج ليـالي بأكملهـا حالمـا بطبائـع ميتـة كبـيرة ولوحـات رائعـة. بـل لقـد بـدأ واحـدة (مـن هـذه اللوحـات) (...)، كان فلـوران يسـتمع، وبطنـه مشـدودة، إلى هـذا الحـماس مـن الفنـان. (نفسـه، ص36)*.

وتفسـير المقطـع: كان يـدور..... بـل لقـد بـدأ واحـدة (l rodait …. Il en avait .....) كخطـاب غـير مبـاشر حـر لأن الأفعـال الموجـودة سـابقا تحبـذه (يتحدثـون الآن، كان كلـود... يحـكي...) يبـدو أقـل "وضوحـا" إذا وقفنـا عنـد حـدود هـذا التأثـير لسـياق اليسـار. ونهايـة المقطـع (كان فلـوران يسـتمع) هـي، التـي تـؤدي، بصفـة خاصـة، وبوضـوح، إلى إعـادة بنـاء المقطـع الرئيـسي كخطـاب محـكي. وفي حـالات أخـرى لا تلعـب المعلومـات المعطـاة عـن طريـق السـياق الابتـدائي هـذا الـدور المـدرِج أو عـلى الأقـل لا تلعبـه إلا بصفـة أقـل مبـاشرة، وأقـل وضوحـا. والاسـتنتاجات التـي يكـون مـن الـضروري طرحهـا هـي عديـدة، وسـياق اليمـين هـو الـذي يسـمح، بطبيعـة الحـال، عـن طريـق عـودة إلى الـوراء وتغيـير سـياق التذكـر، بـأن يعطـي تفسـيرا واضحـا للمجمـوع. ونجـد لهـذا الذهـاب والإيـاب أحسـن تمثيـل في هـذا المقطـع لفولبـير:

في الغـد، منـذ السـاعة السـابعة، وصـل إلى شـارع نوتـردام دي فيكتـوار، أمـام دكان يبيـع الخمـر حيـث اعتـاد ريجيمبـار أن يتنـاول الخمـر الأبيـض. لم يكـن الـدكان مفتوحـا فقـام بجولـة في الناحيـة، وبعـد نصـف سـاعة تقـدم مـن جديـد. كان ريجيمبـار خارجـا مـن الـدكان، وانطلـق فريديريـك في الشـارع. لقـد ظـن أنـه رأى مـن بعيـد قبعتـه؛ وعربـة المـوتى وسـيارة المأتـم تتداخـلان. وبعـد أن مـر الإحـراج كانـت الرؤيـة قـد زالـت. (فلويـير، التربيـة الشـعورية، ص104)**.

والفـرق حسـاس مـع الآليـات التـي رأيناهـا سـابقا عنـد زولا. ولعـل القـارئ يتذكـر معلومـات حـول مـا كان يهـدف إليـه فريديريـك: ملاقـاة ريجيمبـار والفعـل تقـدم مـن جديـد (s'y présenta de nouveau) يمكـن أن يـؤدي إلى تخيـل محادثـة، أو طلـب

يكـون محتـواه "هـل ريجيمبـار هنـا؟" غـير أن الجملـة (كان ريجيمبـار خارجـا مـن الـدكان) تـؤدي إلى تفسـير "وصفـي" بحـت منسـجم مـع قـراءة معينـة للسـياق السـابق: قبـل أن يدخـل فريديريـك إلى الـدكان، رأى ريجيمبـار خارجـا منـه. وقـراءة سـياق اليمـين لا تجعـل إعـادة النظـر في هـذا التفسـير مبـاشرة ولا تفـرض تغيـيرا للإطـار السـياقي الـذي تـم بنـاؤه. ومسـألة الانطـلاق في الطريـق يمكـن أن تفهـم كحركـة في اتجـاه ريجيمبـار. وبطبيعـة الحـال، فالجملـة: لقـد ظـن أنـه رأى مـن بعيـد قبعتـه (il crut même aper-cevoir au loin son chapeau) هـي فقـط التـي تـؤدي إلى إعـادة بنـاء معلومـات معطـاة عـن طريـق السـياق وتفسـير جديـد تعضـده وتجعلـه إجباريـا نهايـة الفقـرة: كانـت الرؤيـة قـد زالـت (la vision avait disparu). وكل هـذا الجـزء لا يمكـن أن يحصـل عـلى انسـجامه إلا بقـراءة (خ غ ح) للجملـة: كان ريجيمبـار خارجـا مـن الـدكان ومـن إعـادة بنـاء، عـن طريـق الاسـتنتاج، لحـوار انطلاقـا مـن التسلسـل، تقـدم مـن جديـد وسـأل: هـل ريجيمبـار هنـا؟ فأُجيـب، خـرج (للتـو). انطلـق فريديريـك (حينئـذ).

إن النظـر إلى السـياق كجـزء مندمـج في التفسـير، وكجـزء هـو نفسـه مُعَـدَّل في فهمـه عـن طريـق سريـان نشـاط التلقـي، ليـس بطبيعـة الحـال، مقصـورا عـلى حالـة الخطـاب المحـكي. فمجمـوع الوقائـع المرتبطـة بالانسـجام النـصي هـي محـل اعتبـار بواسـطة هـذه الإشـكالية؛ سـواء تعلـق الأمـر مثـلا بالمجـال الواسـع للظواهـر العائديـة أو بتقابـل المسـتويات وأطـر الخطـاب، أو "العـودة إلى الـوراء" في الحكايـة وتمييـز الأنظمـة التلفظية أوبالتعليـمات المعطـاة للقـارئ بواسـطة الوضـع في علامـات لغويـة، هنـاك معلومـات موجهـة لتشـكيل تفسـير منسـجم للنـص، تسـتند إلى هـذا التفاعـل المسـتمر مـع السـياق أو بصفـة أدق مـع تذكـر السـياق وهـو في حالـة إعـادة تنظيـم مسـتمرة. ويركـز نحـو النـص في دراسـة المجـالات الخاصـة، أكـثر فأكـثر عـلى هـذا البعـد الـذي يشـكل أحـد أهـم جوانـب إشـكالية "المعرفـة المشـتركة".

4. معالجة المستوى الإخباري

يشـكل المسـتوى الإخبـاري، بحكـم ارتباطـه بقـوة بمسـألة إمكانيـة الوصـول وظهـور

المحيلات عليها (référents) ومسألة السياق وتذكره أو عليه أن يشكل نقطة التقاء بين الأسلوبية ولسانيات النص. وتظهر ثنائيات من مثل معروف/جديد، الموظفة في الأعمال المنجزة حول المنظور الوظيفي للجملة تظهر اليوم إلى حد ما تبسيطية، وأبرزت جيدا أعمال مثل التي قام بها لامبراخت الأهمية في ميدان المعرفة المشتركة هذا: فالبنية الاقتضائية للقول (لامبراخت، 1994) تتعلق بتنظيم وعلاقات العبارات اللغوية بحسب درجة إمكانية الوصول وإلى ما تحيل عليه وتحديده. أو بصفة أدق، بحسب التمثيل الذي للمتكلم عن هذه الدرجة. وهذا الميدان تأخذه الأسلوبية بعين الاعتبار جزئيا في دراسة بعض الصور المتعلقة بالاستمرارية أو القطيعة الخطابيتين، ولكنها لا تشكل موضوعا لمعالجة متجانسة وموحدة. وقد ظهرت التحاليل التي تقترحها لسانيات النص عدة قضايا تؤدي إلى نسبية المفاهيم وشبكات الملاحظات المستعملة في العادة. ونجد هنا إجبارا مطابقا لذلك الذي ذكرناه سابقا فيما يتعلق بوحدات المعالجة، وهو إجبارية أن نعتبر التفاعل بين نظام اللغة والنص، باعتبار تحققه، أنه لا يمكن أن يكون ثابتا وموحدا. والذي يجب الإشارة إليه هو التنويع، سواء أرجعت إلى الزمنية (diachronie) أو إلى الجنس أو إلى المقام، وهو الذي يمكن أن يكون مَعلما لتحديد الظاهرة الأسلوبية. وفي حالة المستوى الإخباري، وإن اتفقنا على القول أن الأمر يتعلق أساسا بالتنظيم الخطي للقول وأن بنية اللغة تلعب دورا هاما بواسطة القيود التي تفرضها، على الأقل في الحرية الكبيرة في ترتيب الكلمات، فإنه يبقى أن هناك فروقا كبيرة يمكن ملاحظتها وما هي سوى نتاج وجود أنظمة فرعية تتجاوز حالة مجرد التنويعات. لنأخذ مثلا مسألة عدد "الخلايا الإخبارية". غالبا ما يشار إلى أن المنطوق يتميز بقوة عن المكتوب في هذه النقطة (ينظر شاف، 1994). فالمنطوق يقلص عدد المعلومات في "الجملة" سواء أتعلق الأمر بتقديم المحيل عليه أو بالإسناد (ينظر لامبراخت، 1987). ولكن ألسنا هاهنا سوى أمام مسألة كمية؟ وما الأمر في مختلف أنماط الكتابة الأخرى؟ كيف نعالج حالات الإسنادات الثانوية والأنماط الابدالية (types appositifs)، التي لم تكن موجودة في الفرنسية القديمة، وتبلورت في النص

السردي في الفرنسية الوسيطة ثم في النص الحجاجي؟ وليس ظهور هذه البناءات، التي تلعب دور الموضوع أو المحمول الثانوي مجرد "إغناء" ومجرد تغيير درجات الديناميكية التبليغية؛ بل يوجد هنا تغير أعمق يلائم معالجة أخرى ومنظورا آخر لـ "الوحدة الإخبارية". ونرى كيف أن مسألة مستويات المعالجة مرتبطة بقوة بهذا التحول: ما هو الجزء الحصيف من النص بالنسبة لتحليل التدرج الموضوعاتي (دراسة توزيع الموضوع والمحمول تطرح، مراعاة لكل نسبة، نفس المشاكل). كيف نتفادى استعمال إطار تفسير، مع أنه يبدو عامّا نسبيا، لا يشكل على الأقل ما يمكن أن نسميه مفارقة؟ ما هو غير كاف، كما يبدو لنا، هو أن نأخذ بعين الاعتبار القيود التي تعود إلى النظام اللغوي: فتنظيم عناصر القول في الفرنسية القديمة هو، بدون أدنى شك، محكوم بقوة بواسطة التركيب بفعل ثان والتغير الذي يمكن أن نلاحظه في الفرنسية الوسيطة في هذا المستوى يتماشى بالتأكيد مع تطور في المستوى الإخباري، ولكن هذا التطور يوافق إعادة تنظيم عميق لمبادئ المنظور الوظيفي. وما يمكن أن نراه في نصوص الفرنسية القديمة، عبر التسلسلات في الجملة (ينظر ريشنر، 1970) يشهد على منظور للبنية الاقتضائية التي يتعلق الأمر فيها قبل كل شيء بتحديد دقيق للموضوع في مقابل بقية القول: فالمكون الابتدائي يعزل حينئذ بواسطة الحد الذي يُشَكِّله الفعل، عن «تتابع» تدخل فيه عناصر، لو أخضعناها إلى تحليل معاصر لاعتبرت محمولا، أو محمولا حقيقيا أو محمولا ثانويا الخ ... وبداية القول هي التي تكون موسومة بوضوح كرابط سياقي، على حساب وضع المركبات الأخرى مطابَقَةً لدرجات الديناميكية التبليغية كما نقول.

ففي أمثلة مثل:

من أجل هذه الكلمة ارتفع النقاش في القصر	A cette parole la dispute s'éleva dans le palais .
استمرت المعركة هكذا إلى غاية المساء	Le combat dura de cette façon jusqu'au soir .

En tel manière dura li estris jusqu'à vespres .

فمختلف المكونات، تبعا للفعل، توضع بحسب مقياس تركيبي، والفاعل يكون موجودا مباشرة قبل الفعل. وهذا النوع من الترتيب ومن تدرج المعلومة، يرتبط

بـلا شـك، بشـكل واسـع، بمنظـور للنـص الـسردي يكـرس نظامـا مرتبطـا بالعـادات الشـفوية. وليـس كَـمّ المعلومـات الموجـود في جملـة هـو فقـط الـذي يطـرح هنـا مشـكلا، ولكـن أيضـا المقـولات نفسـها. والمثـال التـالي يبـين كيـف أن هـذه "القيمـة» التـي تُعطـى للموضـوع تبطـل تمييـزات تأخذهـا الفرنسـية الحديثـة في الحسـبان في بنـى فيهـا العبـارة التقديميـة (présentatif) مثـلا. أو بواسـطة نقـل مركبـات.

وللشـجاعة الكـبرى التـي كانـت لديـه حينـما كان سـاخطا، كان اسـمه سـاغريمور لوديزيـري. لقـد أعطتـه الملكـة هـذا الاسـم أمـام اسـتريبر (...) وفيـما يتعلـق بالمـرض الـذي كان يصيبـه غالبـا، فكولوسـينيطال هـو الـذي أعطـاه اسـم موروجـون.*

مـن المهـم الإشـارة إلى أن اسـتعمال الوحـدة "si"، التـي يمكـن أن تعتـبر مجـرد عطـف، تـؤدي إلى نفـس النتيجـة مثـل اسـتهلال الجملـة بموضـوع اسـمي في الجملتـين الأخريـين. وكل شيء يمـر، باعتبـار وظيفـة الربـط بالسـياق السـابق قـد ضمنـت، وكأن دور المكـون الإخبـاري يكـون قـد انتهـى، وأن وضـع مختلـف فئـات الموضـوع والمحمـول لم يكـن حصيفـا. وتحتفـظ الفرنسـية الوسـيطة، في بعـض النصـوص عـلى الأقـل، بهـذا العمـل، وهـذا التصـور الخاصَّـيْن للمسـتوى الموضوعـاتي. وبـدأ يظهـر تحـول كـما نـراه في الأقـوال الآتيـة:

Alors Louis, l'escu au col, la lance au poing, saillit sur son destrier (Histoires des seigneurs de Gavre, 1456).

Alors Saintré, comme humble, doux et gracieux, incontinent devant le roi à genoux se jeta et remercia du grand honneur qu'il lui faisait. (A. de la sale, Jehan de Saintré, 1456)

وحينئـذ، سـانتري، كمتواضـع ولطيـف ومتسـامح، وبسرعـة رمـى نفسـه أمـام الملـك وشـكره عـلى التشريـف الـذي منحـه إيـاه.

وفي صـورة معاكسـة لصـورة الفرنسـية القديمـة، فـإن المحمـول الحقيقـي، يتحـدد تمامـا في نهايـة الجملـة، في المجمـوع المكـوَّن مـن الفعـل ومفعولـه الأقـرب، بينـما تعـرف بدايـة

القول تتابع مكونات موضوعاتية ومكونات تعمل كمحمولات ثانوية. وننتقل هنا من تصور للمنظور الوظيفي ذي الوسم المحبذ للموضوع إلى نظام يحبذ وسم المحمول الحقيقي. ولا يجب فقط أن يؤخذ في الحسبان التصور التركيبي ولكن التغيير في تسيير المستوى الإخباري، وهو تغيير يجب أن يوضع في علاقة مع تغيير في التصور نفسه للنص والانسجام.

5. تفاعل مختلف المستويات

لقد بينا إلى حد الآن بعض الجوانب من مقاربة لسانية للنص باستنادنا إلى أمثلة أخذناها من بعض ميادين الانسجام. ومن اللائق الإشارة، حينئذ، إلى أهمية العلاقات، والتفاعلات، التي تنشأ بين مختلف هذه المكونات: ومن غير الممكن أن نعزل مختلف "المستويات" (modules) التي تتعلق مثلا، بتسيير السمات التلفظية، وتقابل المستويات ومعالجة الظواهر العائدية والتنظيم الموضوعاتي للقول، الخ... ونحن ندرس عملها. ويتمسك نحو النص أكثر فأكثر بأن يحسب الحساب بين قواعد عمل كل نظام فرعي وبين الروابط التي تربط المجموع. ولئن كان العمل على نقاط منفصلة قد أظهر أهميته وبدا لا مناص منه إذا لم نحصر أنفسنا في النظرات المُعمِّمة كثيرا وفي المحاولات غير الواقعية إلى حد ما، في وضع نموذج "تام" لانسجام النص، فلا أقل من أن يبقى أن دراسة مختلف السمات، وفي هذه الدراسة الجوانب المعرفية، أظهرت سريعا، ضرورة الأخذ في الاعتبار عوامل مختلفة تدخل في عمليتي الإنتاج والتلقي، وهي عوامل تنتمي إلى مستويات مختلفة من التحليل. ويُذَكِّر جان ميشال آدم (1999) وهو يقدم مؤلفا حول المقاربات المستوياتية (approches modulaires)، ليبرز هذه الإشكالية بموقف ر.دي بوغراند الذي كتب "كل نظام فرعي لنص ما، (مثلا المعجم، النحو، المفاهيم، مراحل مخطط، أفعال الكلام/ وهكذا...) يعمل جزئيا بحسب مبادئه الخاصة الداخلية وجزئيا بحسب المتطلبات أو الأثر الارتجاعي لأنظمة فرعية أخرى " (1984، ص356). ويبدو من غير الممكن، بطبيعة الحال، الوقوف عند حدود الانتظامات الداخلية، خاصة إذا تعلق

الأمـر بالتحليـل النـصي. وهـذه المسـألة تلتحـق بمسـألة "مـدى" (portée) العلاقـات اللغويـة، الـذي يطـرح في كل الميادين التـي ذكرناهـا، بالنظـر إلى أن الخطيـة هـي سـمة أساسـية للنـص: سـواء أتعلـق الأمـر بـإدارة العلاقـات التلفظيـة أم العائديـة أم الروابـط أم بنـاء المسـتويات، الـخ. ودراسـة قيمـة علامـة لا يمكـن أبـدا فصلهـا عـن دراسـة مجـال تطبيقهـا في النـص وعـن طبيعـة وعـدد العنـاصر الأخـرى الخطابيـة التـي تضعهـا في علاقـة وتَسِـمُها باعتبارهـا منتميـة إلى فئـة نصيـة خاصـة. غـير أن العبـارة اللغويـة (رابـط، عائـد، صيغـة فعليـة، الـخ)، لا تحتـوي في ذاتهـا عـلى معلومـات تسـمح بتحديـد دقيـق لمداهـا. وبأخـذ قرائـن أخـرى في الحسـبان، مـن مسـتويات مختلفـة، يمكـن تفسـير دور الواسـم في تقسـيم النـص إلى وحـدات معينـة.

وهـذه العلامـات التـي يمكـن أن تبـدأ مـن علامـات الوقـف إلى الاسـتنتاجات الدلاليـة، تعمـل هـي نفسـها كمكونـات للميادين النصيـة، وتفاعـل مختلـف هـذه المكونـات هـو هنـا أهـم مـن الـدور الـذي تلعبـه صـورة خاصـة (ينظـر شـارول، 1993). سـنأخذ مثـالا لنبـين هـذه العلاقـات حالـة المقابلـة التـي ننشـئها بـين المسـتوى الأول والمسـتوى الثـاني أو الخلفيـة (arrière- plan) فمـن بـين العلامـات اللغويـة المسـتعملة لترجمـة هـذا التفريـق، الـذي نركبـه أحيانـا بسرعـة، عـلى الفـرق الـذي يفصـل الأجـزاء السرديـة والأجـزاء الوصفيـة لنـص، عـادة مـا يوضـع نظـام الأزمنـة الفعليـة في المقدمـة ويعتـبر علامـة قويـة، عـلى الأقـل فيـما يخـص الفرنسـية الحديثـة. والمقابلـة الحدثيـة (oppo-sition aspectuelle) بـين المـاضي غـير التـام ذي المنحـى الحاسـم والمـاضي البسـيط ذي المنحـى العـام تسـمح بصفـة حسـنة، بطبيعـة الحـال، بتفسـير الآثـار الكرونولوجيـة المرتبطـة بتتابـع عـدة أفعـال ماضيـة بسـيطة وآثـار التزامـن المتعلقـة بتتابـع أفعـال في المـاضي غـير التـام. ولا نناقـش هنـا الأسـاس الوجيـه لهـذا النـوع مـن التحليـل الـذي حظـي بالعديـد مـن الدراسـات، ونُذَكِّـر فقـط بـأن فحـص قيمـة هـذه الصيـغ الفعليـة وإن كان متأنيـا ومفصـلا، لا يكفـي في حـالات عديـدة، لتبيـان وسـم تقابـل المسـتويات وبصفـة خاصـة لتحديـد جـزء مـن النـص مـن المسـتوى الأول أو مـن المسـتوى الثـاني.

ويبدو من الصعب أن نعتبر أن هناك تطابقا تاما بين سلسلة من الجمل في الماضي البسيط وسلسلة من المستوى الأول، والانتقال إلى الماضي غير التام يؤدي إلى ظهور سلسلة من المستوى الثاني تنتهي بظهور الماضي البسيط الخ. وهذا نموذج مثالي بلا شك، ولكنه لا يتحقق إلا نادرا في النصوص لتفاعل مختلف المكونات، عن طريق نوع من التعويض وظواهر التوازن والشذوذ لما يبدو أنه قاعدة بيانية عامة.

لننظر إلى هذه الفقرة لزولا:

انطلقت السيارات الأولى و من قريب إلى أقرب، بدأت **السلسلة كلها** تسير ببطء. كان الأمر كالاستيقاظ. اشتعل ألف ضوء راقص، كانت الأضواء تتقاطع في الطرقات، وكان المعان السريع يتقاطع في الطرقات، وكانت الشهب تنبجس من العدة التي كانت تهزها الخيول. وكان على الأرض وفي الأشجار انعكاسات مرآة تجري. هذا التلألؤ للعدّة والعجلات وهذا اللمعان للألواح الملمعة التي كان يشتعل منها الجمر الأحمر للشمس التي تغيب. هذه الإشارات الحية التي كانت تلقيها الحلل الساطعة المنتصبة في السماء، والأغطية الثرية التي تنتشر خارج الأبواب. وجدت نفسها مأخوذة في هدير حاد متصل بإيقاع خبب الخيول. ومضى العرض، في نفس الضجيج وفي نفس اللمعان دون توقف وبدفعة واحدة، وكأن السيارات الأولى قد أخذت كل السيارات الأخرى وراءها * .

تشكل الجمل الأولى من هذا الجزء بدون لبس، مقطعا من المستوى الأول. واستعمال الماضي البسيط، مسنود ببعض الإشارات المرتبطة بالمعجم (دلالة se dé- gagèrent، se mit à rouler، والظرف bientôt) تجعل استبدال العنصرين الأولين مستحيلا:

toute la file se mit bientôt a rouler et les premières voitures se dégagèrent (?)

ويحتفظ ببقية النص في نظام الماضي البسيط، ولكن من السهل ملاحظة أن بُعْدَ التتابع الزمني للجملة الأولى يفتقد: فالأفعال: تشتعل (s'allumèrent)، تتقاطع (se croisèrent) , jaillirent, il y eut تُفَسَّر على أنها تحيل على أحداث مختلفة

متزامنة هي أجزاء فرعية من وصف، يمكن أن يكتب باستعمال الماضي غير التام. وترتيب الجمل هو أقل تقيُّدا ويمكن إجراء استبدالات. ويمكن أن نتساءل عما يحكم هذا التغيير ويؤدي إلى تفسير بقية النص على أنه من المستوى الثاني، مع أن الصيغ الفعلية لا تكفي لتحديد منظوري التعبير. ولا يمكن إهمال الدور الذي يلعبه تنظيم المستوى الإخباري. فأنواع التدرج الموضوعاتي وتحديد المكونات الموضوعاتية وعلاقاتها، هي عوامل هامة تأخذ دور العلامات الحدثية (marques aspectuelles). ويوضع في بداية النص، بطبيعة الحال، موضوع ثابت (المركب toute la file الذي يحيل على موضوع الخطاب المذكور في التمثيل الجزئي: السيارات الأولى) ثم بموضوع خطي (العائد ce الذي يذكر بالأفعال التي تسبقه) دون أن يكون هناك تضارب بين هذا النوع من التدرج والقيم الزمنية: فهناك محيل عليه سبق ذكره يتلقى تحولات متتابعة. وعلى العكس من ذلك فابتداء من الجملة الثالثة، تعادل المركبات الاسمية في مرتبة الفا (des étincelles, des éclairs ra-pides , mille clartés) أقساما جزئية كموضوعات مشتقة من un réveil في تدرج "بموضوع متفجر" (thème éclaté) وأفعال الماضي البسيط التي تحيل على التزامن تفسر كما هي بسبب التناظر الذي ينشأ بين الفواعل ومن ثم بين الأفعال التي تتبعها. وهكذا فالأحداث الثلاثة المحكية ينظر إليها على أنها "تمثيل" وتعداد لمختلف مكونات الوحدة "ce "réveil. والماضي البسيط (fut (comme un réveil هو الذي يجر، بصورة ما، الأفعال الأخرى الموضوعة بعده. وكان من الممكن لو وضعت نقطتان أن تتضح هذه العلاقة أكثر. (ce fut comme un réveil: mille clartés dansantes s'allumèrent). وتدرج نهاية النص عاملا آخر: البناء التركيبي، وخاصة وجود التعليق (subordination) يؤدي إلى استعمال "عادي" للماضي غير التام من المستوى الثاني. ولكننا نشير إلى الاحتفاظ بالماضي البسيط في الفعل الرئيسي se trouvèrent. ولا يتم العودة إلا مع الجملة الأخيرة (et le défilé alla…) إلى المستوى الأول، ويلعب التدرج الموضوعاتي مرة أخرى دورا أساسيا: فالموضوع le

défilé يحقق استمرارية الموضوعين الأولين les premières voitures و toute la file في تدرج موضوعاتي يمكننا أن نحلله على أنه تدرج بموضوع ثابت (thème constant)، حيث تحيل الوحدات الثلاث على محيل عليه هو (la file de voiture) منظور إليه من جوانب مختلفة أو من بعض جوانبه.

إن تفاعل مختلف الأنظمة الفرعية هذا، ليس أبدا سهل التحليل، من حيث إنه يجب امتلاك معرفة جيدة بالمبادئ الكبرى لعمل كل مستوى من هذه المستويات وهذا أمر صعب المنال. ولكن يبقى أن وصف الجانب "العام" هو مهمة أساسية تهم كل جوانب الانسجام النصي. والأعمال التي تمس قضايا محلية تبين جيدا أنه من الضروري أن يتم، في درجات مختلفة، إدخال عوامل تنتمي إلى مستويات مختلفة تمتلك انتظاماتها الخاصة.

وبطبيعة الحال، فليس بنقل مقولات وأطر تحليل، مأخوذة كما هي، والتي لا تشكل سوى مجموع إلى حد ما ملفق، تُحَدِّدُ الأسلوبية ميدانها جيدا، وحتى وإن بدا هذا مفيدا من حيث الدقة في بعض النقاط (ينظر آدم، 1997) فاستعمال مفاهيم تنضاف إلى استعارات أخرى من علوم مختلفة كلسانيات التلفظ والتداولية أو الشعرية لا يساهم سوى في مضاعفة «تشتت» أدوات تحليل الأسلوب. وقد بدأنا عبر بحوث لسانيات النص، على العكس، نرى بصورة أحسن تَرَابُطَ (articulation) المكونات الثلاثة: اللغة، النص، العمليات المعرفية. ولا بد من أعمال أخرى حتى نصل إلى تحديد دقيق لقِسْط كل مكون من هذه المكونات في نشاطات إنتاج النصوص وتلقيها، ولكن يبدو لنا أن دراسة الأسلوب، سواء أتعلق الأمر، إذا أخذنا بعين الاعتبار تفريق سبيترز، بأسلوب اللغة (sprachstile) أم بلغة الأسلوب (stiles-prache)، لا يمكن أن تتفادى تناول هذه الإشكالية، بمجرد أن يتعلق الأمر باستعمال اللغة.

فهرس المصطلحات

التفات	Anacoluthe
إحالة قبلية	Anaphore
بدل	Apposition
مقاربات معرفية	Approches cognitive
مقاربات لسانية	Approches linguistiques
مقاربة أسلوبية	Approche stylistique
إحالة بعدية	Cataphore
مقولات خطابية	Catégories discursives
تركيب	Codage
تركيب نصي	Codage textuelle
انسجام نصي	Cohérence textuelle
ملكة خطابية	Compétence discursive
مكونات جانبية	Constituants périphériques
بناءات منفصلة	Constructions détachés
سياق	Contexte
استمرارية موضوعاتية	Continuité thématique
قيود نصية	Contraintes textuelles
اشتراك إحالي	Coréférence
إشاريات	Déictiques
بعد نصي	Dimension textuelle

Discours rapporté	خطاب محكي
Dominance	غلبة
Dynamisme communicatif	ديناميكية تبليغية
Ecart	انزياح
Flux discursive	تدفق خطابي
Formes linguistiques	أشكال لغوية
Grammaire textuelle	نحو نصي
Hiérarchisations syntaxiques	تراتبات تركيبية
Liage	ربط
Linguistique cognitive	لسانيات معرفية
Linguistique du texte	لسانيات النص
Mémoire discursive	ذاكرة خطابية
Modèle contextuel	نموذج سياقي
Niveau informatif	مستوى خطابي
Niveaux textuel	مستوى نصي
Organisation discursive	تنظيم خطابي
Perspective fonctionnelle	منظور وظيفي
Pertinence	حصـــافة
Phénomènes linguistiques	ظواهر لسانية
Phrase	جملة
Prédication principale	إسناد رئيسي
Prédication seconde	إسناد ثانوي

Principes cognitifs	مبادئ معرفية
Proposition subordonnée	جملة تابعة
Régularités	انتظامات
Structure présuppositionnelle	بنية اقتضائية
Structures discursives	بنى خطابية
Structures syntaxiques	بنى تركيبية
Structures textuelles	بنى نصية
Style cognitif	أسلوب معرفي
Stylistique	أسلوبية
Système de la langue	نظام اللغة
Système des marques	نظام العلامات
Texte	نص
Textualité	نصية
Thème constant	موضوع ثابت
Thème éclaté	موضوع متفجر
Types de discours	أنماط الخطاب

الإحالات

* - النص بالفرنسية هو:

Madame de Chateaubriand est meilleure que moi […] Elle a subi mes adversités ; elle a été plongée dans les cachots de la Terreur […] Privée d'enfants, qu'elle aurait eus peut-être dans une autre union, et qu'elle eût aimés avec folie ; n'ayant point ces honneurs et ces tendresses de la mère de famille, qui consolent une femme de ses belles années, elle s'est avancée, stérile et solitaire, vers la vieillesse. Souvent séparée de moi, adverse aux lettres, l'orgueil de porter mon nom ne lui est point un dédommagement. Timide et tremblante pour moi seul, ses inquiétudes sans cesse renaissantes lui ôtent le sommeil…. (Chateaubriand, Mémoires, I, 289).

* - المثال بالفرنسية هو:

Après allerent oïr messe, si çaint messires Gauvains au vallet l'espee e chauce le destre esperon si com il estoit costume. Mais ançois il demanda son nom, et li dist qu'il avoit nom Helin. Qant il ot donee l'ordre de chevalier si com droiture le requiert et il orent oï le service, si demande messires Gauvains ses armes. (Lancelot du Lac, XIIIemes).

(Ensuite ils se rendirent à la messe, et Gauvain ceint l'épée au jeune homme, et lui chausse l'éperon droit, selon la coutume. Mais, au préalable, il lui demanda son nom et il lui dit qu'il s'appelait Helain. Une fois qu'il eut conféré l'ordre de chevalerie comme l'exigeait la bonne procédure et qu'il eurent entendu la messe, monseigneur Gauvain demande ses armes).

** - المثال بالفرنسية هو:

- Et Hectors meurt de faim, si manjue molt volentiers. Et en ce qu'il manjue, li escuiers prent l'escu (…) (id).

Et Hector meurt de faim, il mange donc bien volontiers. Pendant qu'il mange l'écuyer prend l'écu…).

* - المثال بالفرنسية هو:

- Et quant Madame seust celle si tres desiree nouvelle que Ysabel tout accourant lui porta, lors Madame, de ce bien contente, Nostre Sire remercia. (A. de La Sale, Jehan

de saintré, 1456).

(Et quand Madame sut cette nouvelle si désirée qu'Isabelle lui apporta, alors Madame, bien satisfaite de cela, remercia Notre Seigneur).

- Dont en combattant Saintré contre messire Nicole, par meschief a Saintré sa hache lui vola a terre (id).

(Alors pendant que Saintré combattant contre monseigneur Nicole, par malheur, Saintré, sa hache tomba à terre).

** - المثال بالفرنسية هو:

Le camion arrivait au niveau de sa]= Didier[fenêtre. Grimpés dessus sous prétexte d'arrimer leurs planches, ils plongeaient dans sa chambre et le regardaient penser. C'est un cas de violation de domicile. Quand elle eut appris cela, Mme Chotard rit aux éclats. (F. Gadenne, Les hauts quartiers, 1973).

* - المثال بالفرنسية هو:

Alors ils causèrent de la tente Lisa. Claude dit que sa mère ne voyait plus la charcutière depuis longtemps. Il donna à entendre que celle - ci avait quelque honte de sa sœur mariée à un ouvrier ; d'ailleurs elle n'aimait pas les gens malheureux. Quand à lui, il raconta qu'un brave homme s'était imaginé de l'envoyer au collège, séduit par les ânes et les bonnes femmes qu'il dessinait, dès l'âge de huit ans ; le brave homme était mort, en lui laissant mille francs de rente, ce qui l'empêchait de mourir de faim. (Zola, Le ventre de Paris, pp. 100-101).

* - المثال بالفرنسية هو:

Ils causaient maintenant, en retournant sous les Halles. Claude, les mains dans les poches, sifflant, racontait son grand amour pour ce débordement de nourriture, qui monte au beau milieu de Paris, chaque matin. Il rôdait sur le carreau des nuits entières, rêvant des natures mortes colossales, des tableaux extraordinaires. Il en avait même commencé un (…) Florent écoutait, le ventre serré, cet enthousiasme d'artiste. (id., p.36).

** - المثال بالفرنسية هو:

Le lendemain, dès sept heures, il arriva rue Notre-Dame-des-Victoires, devant la bou-

tique d'un rogomiste, où Regimbart avait coutume de prendre le vin blanc. Elle n'était pas encore ouverte, il fit un tour de promenade aux environs et, au bout d'une demi-heure, s'y présenta de nouveau. Regimbart en sortait. Frédéric s'élança dans la rue. Il crut même apercevoir au loin son chapeau ; un corbillard et une voiture de deuil s'interposèrent. L'embarras passé, la vision avait disparu. (Flaubert, L'éducation sentimentale, p. 104).

* - المثال بالفرنسية هو:

- Et pour la grant proesse qu'il avoit quant il estoit eschauffé, ot il nom Sagremors li Desreez. Si li miste nom la reine devant Estreberes (…) Et pour la maladie qui si sovent lui advenoit li mist nom keu li seneschal Sagremor le Mort Jeun (id.)

(Et pour le grand courage qu'il avait quand il était irrité, il eut pour nom Sagremort le Desrée. Et ce fut la reine qui lui donna ce nom devant Estreberes (…) Et pour la maladie qui le prenait si souvent, ce fut Sénéchal qui lui donna le nom de Mort Jeun).

* - المثال بالفرنسية:

Les premières voitures se dégagèrent et, de proche en proche, toute la file se mit bientôt à rouler doucement. Ce fut comme un réveil. Mille clartés dansantes s'allumèrent, des éclaires rapides se croisèrent dans les routes, des étincelles jaillirent des harnais secoués par les chevaux. Il y eut sur le sol, sur les arbres, de larges reflets de glace qui couraient. Ce pétillement des harnais et des roues, ce flamboiement des panneaux vernis dans lesquels brûlait la braise rouge du soleil couchant, ces notes vives que jetaient les livrées éclatantes perchées en plein ciel et les toilettes riches débordant des portières, se trouvèrent ainsi emportés un grondement sourd, continu, rythmé par le trot des attelages. Et le défilé alla, dans les mêmes bruits, dans les mêmes lueurs, sans cesse et d'un seul jet, comme si les premières voitures eussent tiré toutes les autres après elles. (E. Zola, la Curée, p. 10).

المراجع

ADAM, J-M, 1997, Le style dans la langue, Genève, Delachaux et Niestlé.
ADAM, J-M,et H. NOLKE, 1999, eds, Approches modulaires: de la langue au discours, Lausanne, Delachaux et Niestlé.
ARIEL, M, 1990, Accessing Noun- PhraseAntecedents, Londres,Roufledge.
BEAUGRANDE, R. de, 1984, "Critère d'évalution des modèles du processus de lecture", in G, Dernière, éd, Il était une fois..., Presses Universitaires de Lille.
BÉGUELIN, M-J, 1988,"Anaphore, cataphore et mémoire discursive", Pratiques, 57, 15- 43.
BÉGUELIN, M-J, 1995, "Les problèmes d'emploi du gérondif et des participiales en français.
contemporain"in K. Zaleska et A. Cataldi, edsla Français Langue Étrangère à l'Université théorie et pratique, Univ. Varsovie, 243-260.
BENVENISTE, E, 1970, "L'appareil formel de l'énonciation" Langages, 17, 12-18.
BERRENDONNER, A, 1990, "Pour une macro-syntaxe", Travauxde Linguistique, 21, 25-36.
BERRENDONNER,A,et M-J BÉGUELIN, 1989,"Décalages : les niveaux de l'analyse linguistique", Langue Française, 81, 99-124.
CHARE, W, 1994, Discourse, consciousness, and time, Univ. of Chicago Press.
CHAROLLES, M, 1993,"Les plans d'organisation du discours et leur interaction", in S, Moirand et al, eds, Parcours linguistiques de discours spécialisés, Berne, Peter Lang, 301-314.
CHAROLLES, M, et COMBETTES, B, 1999,"Contribution pour une analyse récente de l'analyse du discours" Langue Française, 121, 76-116.
CHAROLLES, M, et COMBETTES, B, 2001, "De la phrase au discours: rupture et continuité", in C, Gancia-Debancet al, eds, Quelles grammaires

enseigner à l'école et au collège ?,
Delagrave et CRDP Midi-Pyrénées.
COMBETTES, B, 1998, Les constructions détachés et français, Paris, Ophrys.
COMBETTES, B, 2000, "L'apposition comme unité textuelle et constituant phrastique: approche diachronique", Langue française, 125, 90-105.
DELANCY, S, 1981, "An interpretation of split ergativity and related patterns" Language, 57, 626-657.
DE MULDER, W, 1990, "Anaphore définie versus anaphore démonstrative: un problème sémantique ?" in G.Kleiber et J-E-Thyvaert, eds, L'anaphore et ses domaines, klincksieck, Paris, 143-158.
DRESSLER, W, 1996,"Parallelisms between Natural Textlinguistics and other components of Natural Linguistics", Spractypologie und Universali-enfarschung, 49, 295-311.
DUBOIS J, W, 1987,"The discourse basis of negativity" Language, 63, 805-855.
DURIE, M, 1994, "A case study of pragmatic linking", Text, 14, 495-529.
FLeischman, S, 1991,"Discourse Pragmatics and the Grammar of Old French ABuvetinatiinterpretation et si and the Personal Pronouris", RomaticePhitalogy, 44, 251-283.
CIVON, T, 1983, éd, Topic Continuity in discourse : A quantitative cross language Study Amsterdam, Benjamins.
HOPPER, P, 1985,"Discourse Function and Word Order Shift A Typological Study of the VS/SV alternation", in W. P.Lehman (éd) Language Typology 1985, J. Benjamins, 123-140.
HOPPER, P, &THOMPSON, S. A, 1980. "Transitivity in grammar and discourse",Language, 56, 251-299.
HOPPER,R, 1998,"Universals of narrative pragmatics a Polynesian case study", Linguistics 36, 119-160.
KARABÉTIAN, E, 2000, Histoire des stylistiques, Paris, Armand Colin.

KLEIBER ,G, 1994, "Contexte interprétation et mémoire: approche standard vs approche cognitive", Langue Française, 103, 9-22.
LAMBRECHT, K, 1987, "On the status of SVO sentences of spoken French", in R. Tomlin (ed) , Coherence and grounding in discourse, J, Benjamins 217-262.
LANBRECHT, K, 1994, Information Structure and Sentence Form Topic, Focus and the Mental Representation of Discourse Referents, Cambridge University Press.
MILNER, J-C, et F. REGNAULT, 1987, Dire le vers, Ed.du seuil, Paris.
MOLINIÉ,G, 1986, Éléments de stylistique française, Paris, P U F.
MYHILL, J, 1992, Typological Discourse Analysis.quantitativeapproches to the study of linguistic function Oxford, Blackwell.
NEVEU, F, 1998,Études sur l'apposition, Paris, H. Champion.
ODOWD, E, 1990,"Discourse pressure,gerneand grammatical alignment - after Dubois" Studies in Language, 14, 365-403.
PAYNE, D, 1987,"Information structuring in Papago narrative discourse", Linguistics, 63, 782-804.
PAYNE, D, 1994,"OVSuVersuO in Panare(Cariban): Do syntax and discourse match ?" Text, 14, 581-610.
PEREZ LONRIDO, R, 1996,"On the Grammatical Domain of Gapping in Old English Syntax and Pragmatics",Diachronica, 13, 319-346.
PRINCE, E, F, 1988,"Discourse Analysis a part of linguistic competence", in Linguistics The Cambridge Survey, vol, IL, 164-182.
REINHART, T, 1984,"Principles of gestalt perception in the temporal organization of narrative texts", Linguistics, 22, 779-809.
RYCHNER, J, 1970, L' articulation des phrases narratives dans la Mort Artu Genève, Droz
SAINT-GERAND, J-P 1995",Style, apories et impostures" Langages, 118, 8 30.